مجلة المجمع العلمي

مجلة المجمع العلمي

فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الثالث والرابع ـ المجلد الستون

١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٣م

التداولية ليست منهجا

الدكتور احمد مطلوب

رئيس المجمع العلمي ــ بغداد

الملخص :

هذه ورقة تلقي بعض الضوء على ما شاع في العقود الأخيرة من مصطلحات لغوية وأدبية ونقدية وفنية ومنها (التداولية) التي شغف بها بعضهم حبا وهو يقرأ التعريفات المختلفة ، والآراء المتباينة ، ويستعمل الكلمة في مقالاته وبحوثه من دون أن تكون لها علاقة بما يدبج أو يكتب .

نشرت مقالات وبحوث وكتب ، مؤلفة ومترجمة عن (التداولية) وقد تعرضتهلهذا المصطلح الذي وجد سبيله الى الظهور ، وكان معظمها تنظيرا لا تطبيقا ، وهذه الورقة تتطرق الى الموضوع وقد تغضب قوما وترضي آخرين ؛ لأنها وجهة نظر في صلة (التداولية) بمطابقة مقتضى الحال والمقام مما عرضته كتب النقد والبلاغة العربية ، وانتهت الورقة ببعض ما عبر عنه بطرق مختلفة من المعاني والمقاصد ، ليظهر أنها ليست منهجا وإنما هي استعمال اللغة للتعبير ، أي أنها المنجز اللغوي .

(١)

بدأ الاهتمام بالتسميات الفنية التي كانت تتسرب الى اللغة العربية قبل عقود من الزمان ، ولعل ما يخص المسرح من أوائلها ، وكثر شيوع مسرحيات المأساة (التراجيديا) والملهاة (الكوميديا) ومصطلحات المسرح حتى إذا ما جاء عقد أو اكثر انطلقت موجة جديدة من التسميات ، اطلق عليها اسم (المذاهب الأدبية) كالاتباعية (الكلاسيكية) والابداعية (الرومانسية) والبرناسية ، والدادية ، والرمزية ، والسريالية والواقعية ، واهتمت الصحافة والكتب بالترويج لها ، وتعصب قوم لا تجاه منها ، واشتدت الخصومات بين المؤيدين والمعارضين ، وما كاد الصراع يهفت حتى جاءت موجة جديدة اطلق عليها اسم (المناهج النقدية) كالأسلوبية ، والبنيوية ، والتكوينية ، والظاهراتية ، والتفكيكية وغيرها مما وصل الى اكثر من ستة وعشرين منهجا[١] على الرغم من أن الاتجاهات الجديدة لخصها (رينيه ويلك) في ستة هي : النقد الماركسي ، والنقد النفسي ، والنقد اللغوي الأسلوبي ، والشكلية العضوية الجديدة ، والنقد الأسطوري ، والنقد الوجودي[٢] .

شغل الباحثون والنقاد بهذه المناهج ، وتعصبوا لها كل التعصب ، وعدا الدكتور (كمال أبو ديب) البنيوية : ((ثالث حركات في تأريخ

---

[١] جمرة النص ص ٤٦٨-٤٧١ .

[٢] مفاهيم نقدية ص٤٦٦ .

الفكر الحديث ، يستحيل بعدها أن نرى العالم ونعاينه ، كما كان الفكر السابق علينا يرى العالم ويعاينه))[٣].

ولم تكن الدراسات اللغوية بعيدة عن الاتجاهات الكثيرة ، فهناك المنهج الوصفي ، والمنهج المعياري ، والمنهج التأريخي ، والمنهج المقارن ، والمنهج التحويلي ، والمنهج التوليدي ، وهناك علم اللغة الاجتماعي ، وعلم اللغة النفسي ، وعلم اللغة التطبيقي .

ولم يقف الأمر عند هذه المناهج والأنواع وإنما اطلقت على الدرس اللغوي عدة تسميات بلغ عددها ثلاثة وعشرين اسما مثل فقه اللغة ، وعلم اللغة ، وعلم اللسان ، والألسنية واللسانيات ونحوها[٤] ، في حين أن القدماء استعملوا ثلاثة مصطلحات للدلالة على الدراسات اللغوية هي : فقه اللغة ، وعلم اللغة ، وعلم اللسان ، وشاع مصطلحان في العصر الحديث قبل شيوع التسميات الكثيرة هما : فقه اللغة وعلم اللغة ، وفي ضوئهما ألف الدكتور (علي عبد الواحد وافي) . كتابيه المعروفين .[٥]

(٢)

ما كاد الباحثون ينسون هذه المصطلحات النقدية واللغوية حتى طلعت عليهم (التداولية) التي عدت من علم اللغة ، وهي من مادة (دول) جاء في (معجم مقاييس اللغة) : ((الدال والواو واللام أصلان :

---

[٣] جدلية الخفاء والتجلي ص٧ .

[٤] ينظر قاموس اللسانيات ص٧٢ .

[٥] ينظر مصطلح اللسانيات في كتاب (بحوث مصطلحية) ص١٦٩ .

أحدهما ، يدل على تحول شيء ، من مكان الى مكان ، والآخر يدل على ضعف واسترخاء ... ومن هذا الباب : تداول القوم الشيء بينهم إذا صار من بعضهم الى بعض)) وقريب مما قاله (احمد بن فارس) ما جاء في (لسان العرب)لابن منظور ، ولا يخرج كلام أبي البقاء الكفوي ، وما جاء في (المعجم الوسيط) و (المعجم العربي الأساسي) عن هذا وإن أضاف : ((تداولوا في الأمر : ناقشوه بينهم وبحثوا جوانبه ، والمداولة مصدر (داول) : تداول الرأي بين أعضاء دائرة المحكمة في اجتماع سري للوصول الى منطوق الحكم في القضية التي يتداولون فيها ، الحكم بعد المدولة)) .

وجاءت المادة في (القرآن الكريم) ففيه : ((وتلك الأيام نُداولها بين الناس)) (آل عمران ١٤٠) أي : أن الأيام دول ، يوم لك ويوم عليك ، ويوم تُساء ويوم تُسر .

وفيه : ((كي لا يكون دُولة بين الأغنياء منكم)) (الحشر٧) أي : لئلا ينتفع بهذا المال ويستأثر به الاغنياء دون الفقراء مع شدة حاجة الفقراء للمال .[٦]

وفي أحاديث أشراط الساعة : ((إذا كان المغنم دُولا)) وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم .

و ((لم تتداوله بينك وبينه رجال)) أي : لم تتناقله الرجال .[٧]

---

[٦] ينظر تفسير الآيتين في صفوة التفاسير ج١ ص٢٣١ ، ج٣ ص٣٥٠ .

[٧] ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر ج٢ ص١٤٠ .

أخذت كلمة (التداولية) – وهي مصدر صناعي أو السياقية أو المواقفية (Pragmatics) تدخل الدراسات المتأخرة وهي : ((دراسة استخدام اللغة في شتى السياقات والمواقف الواقعية ، أي تداولها عمليا ، وعلاقة ذلك بمن يستخدمها تفريقا لها من مذهب العلاقات الداخلية بين الألفاظ (Syntactics) وعلاقة الألفاظ بالعالم الخارجي أو دلالتها (Semantics)[٨].

فالتداولية دراسة لغوية دخلت الدرس الأدبي من أجل ((تطبيق بعض المبادئ العامة للتداولية على السياقات الأدبية ، عمادها الالتزام بالابتعاد عن دراسة الأعمال الأدبية باعتبارها أبنية نصية شكلية محضة ومغلقة ، والإقرار بأنها عناصر وسيطة وحلقات في سلاسل التواصل أو التوصيل ... والتداولية الأدبية تحاول أساسا الجمع بين الحركة نحو الخارج والحركة نحو الداخل ، أي الانطلاق الى داخل النص لتمييز أو لتحديد الوسائل الفنية التداولية))[٩] ولا علاقة للتداولية بالذرائعية التي هي مذهب فلسفي يركز على كل ما له أهمية علمية للبشر ، ويتجنب البحث في القضايا المطلقة أو المجردة ، وهو ما نصت عليه المعاجم اللغوية الحديثة كالمنهل (فرنسي عربي) والمورد (انكليزي ــ عربي ــ عربي انكليزي) وما ذكره من قبل الدكتور (مجدي وهبة)[١٠]...

---

[٨] المصطلحات الأدبية الحديثة – دراسة ومعجم انجليزي عربي ص٧٦ .

[٩] المصدرنفسه ص٧٧ .

[١٠] ينظر معجم مصطلحات الأدب ص٤٣٠ .

واستعمل الدكتور (سعيد علوش) كلمة (البراغماتية) بدل (الذرائعية) وقال :

١ــ يحددها (موريس) في جزء من (السيميولوجيا) التي تدرس العلاقة بين العلامة واستعمالاتها ...

٢ــ ويميز في معالجة الخطاب السردي على المستوى السطحي ــ البعد الادراكي والبعد البراغماتي ، ويستعمل هذا الأخر مرجعا داخليا للأول .

٣ــ والموضوعات البراغماتية هي موضوعات تعرف كقيم وصفية .

٤ــ وتستهدف البراغماتية بالمفهوم الأمريكي استخلاص شروط التواصل بالأساس)).[١١]

(٣)

شغل الكتاب العرب بالتداولية والناظر في بحث (التداولية – إشكالية التعريف ومقاربة التمثيل) للاستاذ (عبد العزيز ابراهيم)[١٢] يجد كثرة التعريفات وتضارب الآراء ، إذ أصبحت التداولية ((من الحقول المنبوذة في الدراسات اللسانية الحديثة منذ سبعينيات القرن الماضي ، ولم يهتم بها النقد الغربي ولا الأمريكي الجديد ، ولم يوظفها في اجراءاته ، لأنها كانت تمثل لدى اللسانيين ومن ثم النقاد مستوى هامشيا لا قيمة له ، فهي حقل لساني يطرح إشكاليات معقدة من حيث حدوده وفرضياته ، ومجالاته وأدواته ، وهي بلا شك حقل ملتبس وغائم ، وفيه كثير من التعميم والغموض)) .

---

[١١] معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ص٤٨ .

[١٢] ينظر في مجلة الأقلام ــ العدد الأول ــ شباط ــ آذار ٢٠١٢ .

وهي في قول آخر : ((مجموعة من النظريات نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات ، ومتساوقة في النظر الى اللغة بوصفها نشاطا يمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد . وعلى الرغم من عدم الوضوح الذي اكتنف التداولية فان مجمل الأفكار والملاحظات والتساؤلات التي لم تتمكن المدارس اللسانية والبنيوية منها الإجابة عنها ، قد وجدت سبلها في هذا الاتجاه)) .

فالتداولية قبل كل شيء دراسة لغوية ، وللباحثين العرب والأجانب آراء متفاوتة في تعريفها ودلالاتها ، وكثرت الدراسات والكتب عنها ، ولعل أشملها كتاب (استراتيجيات الخطاب ــ مقاربة لغوية تداولية) للدكتور (عبد الهادي بن ظافر الشهري) الذي بذل جهدا كبيرا في وضعه ، والاستراتيجيات ((طرق محددة لتناول مشكلة ما ، والقيام بمهمة من المهمات ، أو هي مجموعة عمليات تهدف الى بلوغ غايات معينة ، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة ، والتحكم بها))[١٣]. وعد التداولية منهجا وهي ((دراسة علاقة العلامات بمستعمليها وبمؤوليها)) وذكر أن استعمال مصطلح (التداولية) يعود الى الفيلسوف (تشارلز موريس) انطلاقا من عنايته بتحديد الاطار العام لعلم العلامات السيميائية من خلال تمييزه بين ثلاثة فروع هي :

١ــ النحو أو التركيب (Syntax) : وهو دراسة العلاقة الشكلية بين العلامات بعضها ببعض .

---

[١٣] استراتيجيات الخطاب ــ مقاربة لغوية تداولية ص٥٣ .

٢ــ الدلالة (Semantic) : وهي دراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تؤول اليها هذه العلامات .

٣ــ التداولية (Pragmatics) : وهي دراسة علاقة العلامات بمستعمليها وبمؤوليها .

عمد الباحثون الى هذا المنهج ((ليمدهم برؤى متعددة نتيجة لقصور الدراسات الشكلية واهمالها لمقاربة اللغة في تجليها الحقيقي أي في الاستعمال التواصلي بين الناس ، ولذلك يرى (ليفنسون) أن الأساس الأول في نشوء المنهج التداولي كان بمثابة ردة فعل على معالجة (تشومسكي) للغة بوصفها شيئا تجريديا ، أو قصرها على كونها قدرة ذهنية بحتة غفلا من اعتبار استعمالها ومستعملها ووظائفها ، ثم استعرض عددا من الدوافع العامة التي كانت وراء تطور المنهج التداولي ، إذ كان منها ما يتعلق بالتراكيب ، وتحديد المراجع ، ومنها ما يتعلق بدلالة الخطاب في السياق ، والتعامل الاجتماعي بين طرفي الخطاب))[١٤] .

الاطار العام للكتاب هو الخطاب ، ولذلك كان بابه الأول في مفهوم الاستراتيجية في الخطاب ومعايير تصنيفه ، والباب الثاني لمعالجة أنواع استراتيجيات الخطاب وهي : التضامنية ، والتوجيهية ، والتلميحية ، والاقناع ، وفيهما شتى الدراسات كالصرفية والمعجمية والتركيبية والتنغيمية ، والبحث في الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والتحذير ، والاغراء ، والتحضيض ، والعرض ، والنداء ، وفيه مباحث نحوية وبلاغية ، وضوابط التداول الحجاجي ، وأصناف الحجاج وتقنياته .

---

[١٤] المصدر نفسه ص٢١ ، وينظر كتاب التداوليات – علم استعمال اللغة ص٢ .

فالكتاب مجموعة من الدراسات المتعددة أطلق عليها المؤلف عنوان (مقاربة لغوية تداولية) أي أن (التداولية) كل شيء وإن كان محورها دراسة اللغة والخطاب ، وإنها لصعوبة ما بعدها صعوبة أن يدرس العمل الأدبي في خضم التعريفات والتقسيمات ، وقد أوقع هذا المفهوم الواسع بعض الدارسين في خلط عندما زين لهم دراسة بعض الأعمال الأدبية تداوليا .

وصدر كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة) وقد جمع فيه معده الدكتور (حافظ اسماعيلي علوي) بعض فصول من (أطاريح جامعية) لنيل (الدكتوراه) وهي دراسات لم تأتِ بتعريف (جامع مانع) للتداوليات ليوحد التعريفات المتداولة ، ولعل أول تعريف لها ما قاله (تشارلز موريس) ــ ١٩٣٨م ، بانها ((دراسة علاقة العلامات بمؤوليها ومستعمليها)).[١٥]

ولم يقف مفهوم (التداولية) عندما قاله (موريس) ، وإنما تعددت التعريفات واختلفت ، وقد سعت الى تدقيق مفهوم التداولية ووظيفتها وموقعها من العلوم والمعارف عامة واللسانيات خاصة وهذا يعني أن هناك تداوليات متعددة ، والنظرة الجديدة للتداولية ((تقتضي فحص العلاقة الوجاهية بين التداولية والمعجم ، والتداولية والتركيب ، والتداولية والصواتة التطريزية (تنغيم ، نبر) والتداولية وقضايا الاكتساب اللغوي ،

---

[١٥] ينظر التداوليات علم استعمال اللغة ص٢ .

والتداولية واللسانيات الحاسوبية ، وهذا ما يجعلنا أمام تداوليات بصيغة الجمع ، لا أمام تداولية واحدة)).[١٦]

نشأت التداولية في حضن فلسفة اللغة وهي محاولة ((للاجابة عن اسئلة من قبيل :

ـ ماذا تفعل حين تتكلم ؟

ـ ماذا تقول بالضبط ؟

ـ ولماذا تطلب من جارنا على المائدة ما إذا كان في استطاعته أن يناولنا الملح مع أن ذلك يبدو بامكانه ؟

ـ من يتكلم إذن ؟ ولمن ؟ ومع من ؟ ولأجل ماذا ؟

ـ من تظنني أكون حتى تكلمني هكذا ؟

ـ ما تجب معرفته لرفع الايهام ؟

ـ ما هو الوعد ؟

ـ كيف يمكننا قول شيء آخر غير ما كنا نريد قوله ؟

ـ هل يمكن أن نقتصر على المعنى الحرفي لقضية ما ؟

ـ ما هي استعمالات اللغة الى أي حد يكون الواقع الانساني محددا بكفايته اللغوية ؟)) .[١٧]

فالتداولية ـ إذن ـ علم استعمال اللغة ، وفي ضوء هذا المفهوم جاءت البحوث متحدثة عن التداولية وعلاقتها بالدراسات النحوية واللغوية

---

[١٦] المصدر نفسه ص٤ .

[١٧] المصدر نفسه ص١٧ .

والبلاغية والنقدية ، وفي الكتاب فصول عن علاقة التداولية بالدراسات العربية القديمة ، وهي :

١ــ مفهوم البراغماتية ونظرية المقام في المقولات المعرفية ولدى علماء العربية لمنال النجار .

٢ــ نظرية الكم الخطابي في البلاغة العربية لبنعيسى أزاييط .

٣ــ الاستلزام التخاطبي بين البلاغة العربية والتداوليات الحديثة لاحمد المتوكل .

٤ــ الأفعال غير الواجبة في كتاب سيبويه (الأمر – النهي نموذجا) لنعيمة الزهري .

٥ــ الانشاء وأساليبه بين (ألفية ابن مالك) والنحو الوظيفي لنعيمة الزهري .

٦ــ المقولات البلاغية – دراسة مقامية براغماتية لمنال النجار .

وهذه البحوث تؤكد أن العرب القدامى لم يكونوا على جهل بما يبحث الآن ، وما يقال عن التداولية الحديثة .

(٤)

إن أساس التداولية هو استعمال اللغة للتعبير عن المعاني والأفكار والمقاصد ، وهي ــ كما قال القدماء – ((مطابقة الكلام لمقتضى الحال)) أي أن لكل مقام مقالا ، والحالات والمقامات كثيرة ، وقد عرف العرب القدامى هذا ، وأشار (الحطيئة) في قوله لعمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ الى ذلك :

تحننْ عليَّ هداك المليك فان لكل مقام مقـــــالا

وانتبه الى ذلك النحاة واللغويون ، فالخليل بن احمد يومئ الى ما يفيد ، وينقل عنه (سيبويه) في باب (عدة ما يكون عليه الكلم) ، ويقول : ((وأما (قد) فجواب لقوله (لما يفعل) فتقول : قد فعل)) ، وزعم (الخليل) أن هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر .

ودعا (الجاحظ) الى مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وكرر ذلك في كتبه ، ونقل قولهم : ((من علم حق المعنى أن يكون الاسم له طبقا ، وتلك الحال له وفقا ... ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم)) ونقل من صحيفة (بشر بن المعتمر) قوله : ((ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ، ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات)) وقال : ((لكل مقام مقال ، ولكل صناعة شكل)) . وأقرب أقواله في هذا الباب قوله : ((لكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء ، فالسخيف للسخيف ، والجزل للجزل ، والإفصاح في موضع الإفصاح ، والكناية في موضع الكناية ، والاسترسال في موضع الاسترسال ، واذا كان موضع الحديث على انه مضحك ومُلهٍ وداخل في باب المزاح والطيب فاستعملت فيه الإعراب انقلب من جهته ، وإن كان في لفظه سخف وأبدلت السخافة بالجزالة ، والحديث الذي وضع على أن يَسرّ النفوس يُكربها ويأخذ باكظامها)) ؛ وقال : ((وقد اصاب كل صواب من قال : ((لكل مقام مقال)) .

وربط البلاغيون حسن الكلام وقبحه بانطباقه على مقتضى الحال وغيره ، فقال (السكاكي) : ((إن مدار حسن الكلام وقبحه على انطباق تركيبه على مقتضى الحال ، وعلى لا انطباقه)) .

وعرّفوا البلاغة بأنها ((مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته)) ومقتضى الحال مختلف ، فان مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القصر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الايجاز يباين مقام الاطناب والمساواة ، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي .

وانتهى (الخطيب القزويني) الى أن ((ارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدم مطابقته له ، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب ، وهذا أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم)) .[١٨]

وتحدثت كتب التفسير والأصول والبلاغة والنقد عن الألفاظ والمعاني واستعمالها طبقا للموضوع ، لأن لكل لون من الكلام ألفاظه ومعانيه وأسلوبه الذي يعرض فيه ، وله حالات ومقامات مختلفة ، واللغة هي التي تؤدي الخطاب وأنواعه ، وهذا واضح في كلام العرب ، وفيما وصف به من أوصاف تدل على إدراكهم العلاقة بين اللغة وما يُراد من خطاب معين ، وإن لم يذكروا بالتفصيل ذلك ، ومنه قولهم : ((للشعراء

---

[١٨] ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص٦٢٧ ، وتنظر ص٦٤٢ ومعجم مصطلحات النقد العربي القديم ص٣٩٧ .

ألفاظ معروفة وأمثلة مألوفة ، لاينبغي للشاعر أن يعدوها ولا أن يستعمل غيرها ، كما أن الكتاب اصطلحوا على ألفاظ باعيانها سموها (الكتابية) لا يتجاوزونها الى سواها إلا أن يريد شاعر أن يتظرف باستعمال لفظ أعجمي فيستعمله في الندرة وعلى سبيل الخطرة ، كما فعل الأعشى قديما ، وأبو نواس حديثا فلا بأس بذلك)) .[١٩]

وقولهم : ((أول ما يحتاج اليه الشاعر بعد الجد الذي هو الغاية ، وفيه وحده الكفاية ، حسن التأتي والسياسة ، وعلم مقاصد القول ، فان نسب ذل وخضع ، وإن مدح أطرى وأسمع ، وإن هجا أقل وأوجع ، وإن فخر خبَّ ووضع ، وإن عاتب خفض ورفع ، وإن استعطف حنَّ ورجَّع ، ولكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائنا ما كان ليدخل اليه من بابه ، ويداخله في ثيابه ، فذلك هو سر صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس ، وبه تفاضلوا . وقد قيل : لكل مقام مقال ، وشعر الشاعر لنفسه وفي مراده وأمور ذاته من مزح وهزل ومكاتبة ومجون وخمرية – وما أشبه ذلك – غير شعره في قصائد الحفل التي يقوم بها بين السماطين ... وشعره للأمير والقائد غير شعره للوزير والكاتب ، ومخاطبته للقضاة والفقهاء بخلاف ما تقدم من هذه الأنواع)) .[٢٠]

---

[١٩] العمدة ج١ ص٢٨ لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني كتاب (الألفاظ الكتابية) .

[٢٠] العمدة ج١ ص١٩٩ .

ومن ذلك ما ذكروا من نعوت المعاني الدالة عليها الشعر ، والفروق في أغراضه وصنوفه من حيث الألفاظ والمعاني والمقاصد[٢١] ، وما ذكروه في وصف النثر ، وما ينبغي أن تكون عليه صنوفه كالخطابة ، والترسل ، والجدل ، والحديث ، ومراتب القول ، ومراتب المستمعين .[٢٢]

لا يبعد ما قاله القدماء عن (التداولية) وقد أقر بعض الباحثين بذلك وقال إنها لم تغب عن القدماء ، وإن للعرب كلاما في التخاطب وقواعده ، وإنهم تحدثوا عن القصد ، وبعض أنواع الاتجاهات (الاستراتيجيات) كالتوجيهية والتلميحية والاقناع .[٢٣]

وربطت (منال النجار) الصلة بين (التداولية) و (المقام) الذي قرأه العرب بلاغيا ونحويا وأدبيا ونقديا ، وساعد في تطوير التراث ، وإن لم يقرأ (براغماتيا) لأنه لا علماء العرب القدامى ولا القارئ كانوا يمتلكون هذا البعد البراغماتي ومقصديته ، وإذا ما قرأناه (براغماتيا) سنرى أن علماء العربية أدركوا بعض قوانين البرغماتية وأسسها . والبلاغة العربية الى حد ما هي البراغماتية ، والسياق هو المقام ، وعلى نظرية البلاغة تنهض البراغماتية ، والبلاغة بحسب تعبير (ليتش) تداولية في صميمها ، إذ هي ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير والتأثر المتبادلين

---

[٢١] ينظر نقد الشعر ص٦١ ، العمدة ج٢ ص١٣ .

[٢٢] ينظر البرهان في وجوه البيان ص١٩١ .

[٢٣] ينظر استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية ص٣٤ ، ٩٢ ، ٢٠١ ، ٣٣٠ ، ٣٧٤ ، ٤٤٧ .

بينهما ، فالبلاغة والتداولية البراغماتية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي ، ولو اطلع الغرب على النظرية البلاغية العربية لكانت البراغماتية على غير ما هي عليه اليوم ولا احتاجت الى سنوات أقل حتى تصل الى ما وصلت اليه الآن)) .[٢٤]

فالتداولية ((علم استعمال اللغة)) وليست منهجا كما ذهب اليه بعض الباحثين ، لأن المنهج (Method) وصول الى ((وسيلة محددة توصل الى غاية معينة ، والمنهج العلمي خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول الى كشف حقيقة ، أو البرهنة عليها)).[٢٥]

فليست التداولية – إذن – منهجا وإنما هي استعمال لغوي ، وقد جاءت ردا على الاتجاهات التي درست اللغة من أجل اللغة ، لا لأنها وسيلة التعبير عن المعاني والمقاصد نطقا أو كتابة ، ومن أوضح مهماتها :

١ــ استعمال اللغة وتداولها بين الناس .
٢ــ استعمال اللغة للتعبير عن المعنى وصياغة الخطاب بأسلوب واحد .
٣ــ استعمال اللغة للتعبير عن المعنى وصياغة الخطاب بأساليب متعددة لاكثر من منشئ .
٤ــ استعمال اللغة للتعبير عن المعنى وصياغة الخطاب بأساليب متعددة لمنشئ واحد .

---

[٢٤] ينظر التداوليات علم استعمال اللغة ص٦٣ ، ٧٣ ، ٥٥٥ ، ٥٥٩ ، ٥٩٧ ، وينظر بحث الاستلزام التخاطبي عند السكاكي في ص٢٩٦ .

[٢٥] المعجم العربي الأساسي (نهج) ، وينظر البحث الأدبي ومنهجه ص٩ .

وهذا المنحى أقرب الى مفهوم التداولية الحديثة التي لم تبتعد في الأسس العامة عما قاله العرب القدامى عن ((مطابقة الكلام لمقتضى الحال)) وهذا أسهل من تعقيد التعريفات ، واختلاف الآراء وغموض الكلام ، والتمسك بما لا يخدم اللغة ويقرب الكلام الى الأذهان .

(٥)

وصفوة القول : إن التداولية ليست منهجا ، وإنما هي استعمال اللغة للتعبير بالوسائل المختلفة ، وهي كثيرة في اللغة العربية ، فقد يقع الاختلاف بين شاعر وشاعر في اختيار ما يحقق هدفه ، فالحرب مثلا تعددت أوصافها وما تجر على العالم من مآسٍ وخراب ، وقال فيها (زهير بن أبي سلمى) :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجمِ
متى تبعثوها ، تبعثوها ذميمة ... وتَضْرَ إذا ضربتموها فتضرمِ
فتعرككم عرك الرحى بثغالهـا ... وتَلقـح كِشافا ثـم تنتج فتتئمِ

الحرب دمار فاذا ما ثارت فانها لا تبقي ولا تذر كالنار الملتهبة تحرق كل ما تأتي عليه ، وهي ليست ضربا بالسيف أو طعنا بالرمح وإنما هي رحى تحيل الأجسام فتاتا كما تحيل القمح طحينا يتساقط على الخرقة أو الجلدة التي تبسط تحت (الرحى) ليتساقط عليها الطحين ، وهذه الصورة من ابشع ماتخلفه الحرب ، ويشتد خرابها ويزيد حين تستمر . وخاض محمود سامي البارودي الحرب ووصفها باسلوب آخر :

ولما تدانى القوم واشتبك القنـا ... ودارت كما تهوى على قطبها الحرب

وزين للناس الفرار من الــردى وماجت صدور الخيل والتهب الضرب
ودارت بنا الأرض الفضاء كأننا سقينا بكــأس لايفيق لهـــا شــرب

هذا وصف خارجي للحرب ليس فيه فضاعة وصف زهير للحرب ، ولعل ماقاله في النونية أعمق وصفا :

أخذ الكرى بمعاقــد الأجفــان وهفا السرى بأعنة الفرســانِ
والليل منشور الذوائب ضارب فوق المتالع والربى بجــرانِ
لاتستبين العيــن في ظلمائــه إلا اشتعــال أسنة المـــرانِ
تسري به مابين لجــة فتنــة تسمو غواربها على الطوفانِ
ملأوا الفضاء فما يبين لناظر غير التماع البيض والخرصانِ
فالبر أكدر والسماء مريضة والبحر أشكل والرماح دورانِ
والخيل واقفة على أرسانهــا لطراد يوم كريهة ورهـــانِ
وضعوا السلاح الى الصباح وأقبلوا يتكلمــون بألســن النيــرانِ
حتى إذا ماالصبح أسفروا رتمت عيناي بين ربى وبين مجــانِ
فاذا الجبال أسنة وإذا الوهــا د أعنة والمــاء أحمر قـــانِ

لاتخرج الألفاظ والمعاني والصور في هذا الوصف عما ألفه شــعر الحرب القديم ، فالأسلحة تلمع كالنجوم وكالنيران في الظلم ، ولايرى الناظر إلا التماع السيوف وماطرأ على مظاهر الطبيعة من تغير ، وحين انجلى الليل وأسفر الصباح كانت الجبال أسنة ، والوهاد خيلا ، والماء أحمر لكثرة الدماء التي خلفتها الحرب .

وتختلف قصائد الحرب الحديثة عن القديمة في أساليبها وصورها :

تزَحف أيلول ، يدب ، يجر سحاب
تتلبده الآفاق ليكتم كل الأنفاس
وكانت شمس خريف يقرع آخر أبواب الصيف
يلم بقاياه ، يرحِّلها
كانت شمس خريف تزّاول
تتسل خلال الأغصان إذا انفرجت للريح
وكانت (صافرة الانذار) تمدّ بقامتها ، تطاول
فوق شتات نخيل ومآذن
لتطل على الناس ، تحذرهم
كانت تتهدج وسط زحام الغادين
تضيع كأنّ الأبواب إذاسمعتها تتفتح
أو تتشق الحيطان
فتلفظ أهليها طُوفان يتدافع في الطرقات
وفي الساحات
وتبقى (صافرة الانذار) تمد بقامتها
فتضيع ، وكل الشرفات
إذا سمعتها شالت ، راحت ترفع أهليها ينشدّون
الى الأفق المشحون
يمدون الأبصار الى لهب يتصيد طائرة
تتوهج ، تخبو ، تهوي

تبلعها الأرض كما اهتزت شمس في آخر رمق
لحظات ثم تلقفها كهف الليل
وتمتد سحابات دخان
وتروح تضج الطرقات
تضج الساحات والشرفات
تصير أغاريد نساء وأكفا
تتشدّ الى كل جهات الأرض
تلوّح للهب المشبوب
تصيد طائرة وتصير الشرفات وجوها
يسكنها فرح يمحو كل مسافات العمر
تظل الأفراح ترش دربي

هذا تصوير رائع لغارات الطائرات المعادية ، ووصف بارع للمضادات الجوية التي تحيل الحديد نارا ملتهبة تلمع في السماء ، ثم تخبو وتهوي تاركة وراءها الرماد.

(٦)

هذا مشهد من مشاهد الحرب عبر الشعراء عنه بأساليبهم وبما يقتضيه المقام ، وهناك مشاهد عن الاعتزاز بالأمة والأجداد ، والحنين الى ماضيها المجيد ، وكان لقاء إسبانية مثار نظم القصائد المعبرة عن أمجاد العرب ، فالشاعر (عمر ابو ريشة) كان سنة ١٩٥٣م في رحلة الى (شيلي) وكانت تجلس الى جانبه في الطائرة اسبانية تتحدث عن أمجاد أجدادها العرب من دون أن تعرف أن الشاعر (عمر) عربي :

وثبتْ تستقرب النجم مجالا وتهادت تسحب الذيل اختيالا
وحيالي غادة تلعب فـــي شعرها المائج غنجا ودلالا

وتجاذبا الحديث :

قلت: ياحسناء منْ أنت ومنْ أي دوْح أفرع الغصن وطالا
فرنت شامخـــةً أحسبهـــا فوق أنساب البرايا تتعالـــى
وأجابت أنا مـــــن (أندلس) جنة الدنيا عبيرا وظـــــلالا
وجدودي ألمح الدهر على ذكرهم يطوي جناحيه جلالا
بّوركت صحراؤهم كم زخرت بالمروءات رياحا ورمـــــالا
حملوا الشرق سناء وســـنى وتخطوا ملعب الغرب نضالا
فنما المجد على آثارهـــــم وتحدَّى بعدما زالوا الـــزوالا
هؤلاء الصيد قومي فانتسب إن تجد أكرم من قومي رجالا

لفَّ الصمتُ الشاعر ، وأطرق قلبه وغامت عيناه برؤاها ولم يجب الفتاة :

أطرق القلب وغامت أعيني برؤاها وتجاهلت السؤالا

وفي (غرناطة) التقى (نزار قباني) سنة ١٩٦٥م حسناء :

في مدخل (الحمراء) كان لقاؤنا ماأطيبَ اللقيـــا بلا ميعـــــادِ
عينان سوداوان في حجريهمـــا تتوالد الأبعـــاد من أبعـــــادِ
هل أنت إسبانيـــة ؟ ساءلتهـــا قالت : وفي (غرناطة) ميلادي
(غرناطة) وصحتْ قرون سبعةٌ في تينك العينين بعد رقـــاد
وأُمية راياتها مرفوعـــــــةٌ وجيادها موصولةٌ بجيـــــاد
ما أغربَ التأريخ كيف أعادني لحفيدة سمراء من أحفادي ؟

أثارت الفتاة ذكريات عبرت أفق خيال (نزار) وصَحَتْ (دمشق) ليرى أن وجه الفتاة دمشقي تراءت خلاله ((أجفان بلقيس وسعاد)) وذكرته بمنزله القديم في دمشق الشام ، وعرفت الفتاة أنه من هذه المدينة الخالدة ، وسألته :

و(دمشق) أين تكون ؟ قلت : ترينها في شعرك المنساب نهر سوادِ
في وجهك العربّي ، في الثغر الذي مازال مختزنا شموسَ بـلادي
في طيب (جنات العريف) ومائهـا في الفل ، في الريحان ، في الكبّادِ

مشى خلفها ووراءه تأريخ العرب يكاد يسمع نبض الزخرفات ، ونداء الزركشات الى السقوف .

وتفخر الفتاة بأصلها العربي :

قالت : هنا (الحمراء) زهو جدودنا فاقرأ على جدرانها أمجادي

وهنا أدركه الأسى ، وقال مستغربا :

أمجادها ؟ ومسحتُ جرحا نازفـا ومسحتُ جرحا ثانيا بفؤادي
ياليت وارثتـي الجميلـة أدركت أنَّ الذين عنتهـمُ أجـدادي
عانقـت فيهـا عندما ودعتهـا رجلا يسمى (طارق بن زياد)

وعالج الموضوع نفسه سنة ١٩٧٩م (احمد السقاف) إذ دخل ناديا في (مدريد) واستقبلته إحدى العاملات فيه بقولها : ((أهلا وسهلا)) ولم يعرفها ولكن محياها أثار في نفسه أمجاد العرب في (الأندلس) فانطلق يغني مزدهيا بأمته وماضيها العاطر ، ويتخذ من جمال هذه الفتاة سبيلا للتعبير عما يحس به من زهو واعتزاز ، أليست (بنت مدريد) حفيدة لولئك القوم الذين شادوا حضارة عربية في الغرب ، وأعلوا

مكانة الاسلام في (أوربة) ؟ لقد توحد الدم العربيّ والإسباني ، فكانت هذه الحسناء التي تُذكّر بالماضي التليد حفيدة أولئك الأجداد :

جمع الله بين عُرْب وإســبا ... نٍ ، فكان الجمال أشهى وأحلى
لا تقولي : عهد قديم تقضى ... إنه في العيــون مازال يتلـــى

ويهفو (السقاف) الى الفتاة :

يشعر القلب بالتلاقي وإن لم ... تمنحيه يا ربةَ الحسن وصلا
ويصد الظنون حين تصدين ... ويُغفى على اللذاذات طفلا
إنه القلب لا يقاوم حسنا ... وعيونا تبارك الله نجلا
يتزيّى إمّا تذكر عهدا ... كان للمجد والمفاخر ظلا
ومن العدل أن تُصان أصول ... جمعتنا في سالفِ الدهر أهلا

عالج الشعراء الثلاثة موضوعا واحدا هو صلة الاسبان بالعرب ، واعتزازهم بالماضي التليد ، وقد تناول كل واحد الموضوع بلغته وأسلوبه وتصوره ، فأبو ريشة استعمل في مطلع قصيدته (في طائرة) ألفاظ وصف ، وحين تأمل جمال الجالسة الى جانبه سألها من أين أنتِ ؟ فأخذت تتحدث عن أجدادها العرب وتفتخر بهم :

هؤلاء الصيد قومي فانتسبْ إنْ تجد أكرمَ من قومي رجالا

وانهلّتْ دموعه ولم يستطع رد الجواب لما آلمه من نكران بعض العرب جذورهم واعتزاز الاسبانية بالعرب لأنها من حفدتهم .

ودخل (نزار) الموضوع مباشرة حين سأل الفتاة ((هل أنت إسبانية)) وأجابته بأنها من (غرناطة) وتأملها فاذا هي عربية الملامح ، وإذا بها تفصح عن جذورها العربية :

قالت : هنا (الحمراء) زهو جدودنا فاقرأ على جدرانها أمجادي

وهنا قال الشاعر :

يا ليت وارثتي الجميلة أدركتْ أنَّ الذين عنتهمُ أجدادي

أما (أحمد السقاف) فلم يتعمق في الكلام على العلاقة بين الدم العربي والدم الاسباني إلا بعد أن أبدى إعجابه بمن قالت له : ((أهلا وسهلا)) :

(بنت مدريد) ما ألذَّ وأحلى أن تقولي للضيف (أهلا وسهلا)

ما تخيرتُ (نادي الجاز) لولا أنت فيه كبدر تمٍ تجلَّى

تقطف العين من محيـــاك وردا هو أزكى مـــن الورود وأغلـــــى

(٧)

قد يعبر الشاعر عن موضوع واحد بعدة أساليب تطابق مقتضى الحال ، إذ تناول (نزار قباني) رثاء ولده (توفيق) و (جمال عبد الناصر) وزوجته (بلقيس) وكان لكل قصيدة لغتها ومعانيها وأسلوبها ، ففي الثامن والعشرين من أيلول ١٩٧٠م توفي (جمال) ولم يكن الشاعر على وفاق معه دائما ، فبكاه مرَّ البكاء ، وأوقع اللوم على العرب الذين قتلوا من أراد أن يوحدهم ويقيم (دولة العرب الكبرى) :

قتلناك يا جبل الكبرياء

وآخر قنديل زيت

يضيء لنا في ليالي الشتاء

وآخر سيف من (القادسية)

قتلناك نحن بكلتا يدينا ، وقلنا المنيه

ويلومه لأنه قبل المجيء الينا ، ونحن لا نستحق ذلك فقتلناه ، ثم يخاطبه :

أبا (خالد) ياقصيدة شعر تقال
فيخضر فيها المداد
الى أين ، يا فارس الحلم تمضى ؟
وما الشوط حين يموت الجواد
الى أين ؟ كل الأساطير ماتت
بموتك وانتحرت (شهرزاد)
أُنادي عليك أبا (خالد)
وأعرِف أني أُنادي بواد
وأعرِف أنك لن تستجيب
وأن الخوارق ليست تعاد

وفي عام ١٩٧٣م مات ولده (توفيق) فبكاه بقصيدة (الى الأمير الدمشقي توفيق قباني) أشدَّ البكاء ، وكادت القصيدة تأبى المثول ، إذ الغى موت ابنه جميع اللغات ، ولم يجد في شوارع (لندن) من يبكي عليه ليشاطره الحزن والأسى ، ويخفف عنه وقع الفاجعة :

أُواجه موتك وحدي
وأجمع كل ثيابك وحدي
وألثم قمصانك العاطرات
ورسمك فوق (جواز السفر)

وأصرخ مثل المجانين وحدي
وكل الوجوه أمامي نحاس
وكل العيون أمامي حجر
فكيف أقاوم سيف الزمان
وسيفي انكسر

ولم يصدق أن ابنه مات وهو فلذة من كبده :

أحاول أنْ لا أُصدق أن الأمير الخرافي مات
وأن الجبين المسافر بين الكواكب مات
أُحاول أن لا أُصدق ، ها أنت تعبر (جسر الزمالك)
ها أنت تدخل كالرمح (نادي الجزيره)
تلقي على الأصدقاء التحيه
أُحاول أن لا أُصدق عيني

ويخاطبـــه :

أتوفيـــق
لو كان للموت طفل لأدركَ ما هو موت البنين
ولو كان للموت عقل سألناه
كيف يفسر موت البلابل والياسمين ؟
ولو كان للموت قلب تردد في ذبح أولادنا الطيبين
أتوفيـــق
إن (جسور الزمالك) ترقب كل صباح خطاك
وإن الحمام الدمشقي يحمل تحت جناحيه دفءَ هواك

فيا قرة العين كيف وجدت الحياة هناك

فهل ستفكر في آخر الصيف حتى نراك

أتوفيـــق

إني جبان أمام رثائك فارحم أباك .

واستشهدت زوجته (بلقيس) سنة ١٩٨٢م فرثاها باسلوب ينمُّ على منحاه الشعري المعروف ، والقصيدة تتداول عدة معانٍ وصور ، ولعل أوضح صورة هي الهجاء ، ويبدو ذلك من المقطع الأول :

شكرا لكم

شكرا لكم

فحبيبتي قُتلت وصار بوسعكم أن تشربوا

كأسا على قبر الشهيده

وقصيدتي اغتيلت

وهل من أُمة في الأرض إلا نحن نغتال القصيده

ويخاطب زوجته :

قتلوك يا (بلقيس)

أية أُمة عربية تلك التي تغتال أصوات البلابل ؟

أين (السموأل) و (المهلهل) والغطاريف الأوائل ؟

فقبائل أكلت قبائل

سأقول يا قمري عن العرب العجائب

فهل البطولة كِذبة عربية أم مثلنا التأريخ كاذب ؟

بلقيس أيتها الأميره

هل أنت تحترقين في حرب العشيرة والعشيره ؟
حتى العيون الخضر يأكلها العرب
حتى الضفائر والخواتم والأساور والمرايا واللعب
حتى النجوم تخاف من وطني ولا أدري السبب
حتى الكواكب والمراكب والسحب
حتى الدفاتر والكتب
وجميع أشياء الجمال جميعا ضد العرب
من يوم أن نحروك يا (بلقيس) يا أحلى وطن
لا يعرِف الانسان كيف يعيش في هــذا الوطن
لايعرِف الانسان كيف يموت في هذا الوطن
سأقول في التحقيق
كيف غزالتي ماتت بسيف (أبي لهب) ؟

هذه صور هجاء عُرِف بها (نزار) وقد استعمل ما في اللغة من ألفاظ دالة عليها ، أما صور الحب والألم فلها ألفاظها التي يديرها في شعره :

(بلقيس) كانت أجمل الملكات في تأريخ (بابل)
(بلقيس) كانت أطول النخلات في أرض (العراق)
كانت إذا تمشي ترافقها طواويس ، وتتبعها أيائل
هل يا ترى من بعد شعرك سوف ترتفع السنابل
يا (نينوى) الحمراء
يا غجريتي الشقراء

يا أَمواجَ (دجلة) تلبس في الربيع بساقها أحلى الخلاخل
يا أعظمَ الملكات يا امرأة تجسد كل أمجاد العصور السومرية
(بلقيس) ياعصفورتي الأحلى
ويا ايقونتي الأغلى

ثم يغير الخطاب :

هل تعرفون حبيبتي (بلقيس) ؟
فهي أهم ما كتبوه في كتب الغرام
كانت مزيجا رائعا بين القطيفة والرخام
كان البنفسج بين عينيها ينام ولا ينام

وتنحو معظم مقاطع القصيدة هذا المنحى ، وتأتي صور ذكراها وما في قلب الشاعر من وجع ، وكانت هي الوجع :

(بلقيس) يا وجعي ويا وجع القصيدة حين تلمسها الأنامل
الحزن با (بلقيس) يعصر مهجتي كالبرتقاله
السيف يدخل كم خاصرتي وخاصرة العبارة
(بلقيس) يا (بلقيس) يا (بلقيس)
كل غمامة تبكي عليك فمن ترى يبكي عليا ؟
(بلقيس) كيف رحلت صامتة ولم تضعي يديك على يديَّا ؟
(بلقيس) كيف تركتنا في الريح نزحف مثل أوراق الشجر ؟
وتركتنا – نحن الثلاثة – ضائعين كريشة تحت المطر
أتراك ما فكرت بي
وأنا الذي يحتاج حبك مثل (زينب) أو عمر) ؟

وتطوف الذكريات ، ويصور كل دقيقة من دقائق حياته مع (بلقيس) الزوجة والصديقة والرفيقة :

(بلقيس) ـ

تذبحني التفاصيل الصغيرة في علاقتنا

وتجلدني الدقائق والثواني

فلكل دبوس صغير قصة ، ولكل عقد من عقودك قصتان

حتى ملاقط شعرك الذهبيّ تغمرني كعادتها بأمطار الحنان

ويعرش الصوت العراقي الجميل على الستائر والمقاعد والأواني

ومن المرايا تطلعين

من الخواتم تطلعين

من القصيدة تطلعين

وبعد أن بثّ كل ما يعتلج في صدره من حب وذكريات وألم ، ختم القصيدة :

نامي بحفظ الله أيتها الجميله

فالشعر بعدك مستحيل ، والأنوثة مستحيله

ستظل أجيال من الأطفال تسأل عن صفائرك الطويله

وتظل أجيال من العشاق تقرأ عنك أيتها المعلمة الأصيله

وسيعرف الأعراب يوما أنهم قتلوا الرسوله

هذه مرثاة لا يحسنها إلا شاعر كنزار الذي جمع بين الهجاء والغزل ، وكان التعبير عن حبه متدفقا ، وكانت (بلقيس) أمله الذي يرقبه سنين عددا ، ويسأل عنها كلما هبت رياح الحب والشوق من

((العراق)) ، وفي سنة ١٩٧٩م ألقى في (بغداد) قصيدة (مواويل دمشقية الى قمر بغداد) بدأها بحبه (بلقيس) التي أيقظته :

أيقظتني (بلقيس) في زرقة الفجر ... وغنتْ من (العراق) مقاما
أرسلتْ شَعرها كنهر (ديالى) ... أرأيتم شَعرا يقول كلاما ؟
كان في صوتها (الرصافة) و (الكرخ) ... وشمس وحنطة وخُزامى
قبل عصر التوحيد نحن اتحدنا ... وجعلنا (راوا) دمشق الشآما
أخـذوا الحـب والصبابـة عنـا ... ونسوا أننا اخترعنا الغرامـا

لقد عالج (نزار) موضوعا واحدا هو رثاء جمال عبد الناصر ، وابنه توفيق وزوجته بلقيس ، وعبر في كل قصيدة بما يقتضيه المقام ، فجاءت القصائد الثلاثة حافلة بالحب والألم والذكريات .

(٨)

هذه أمثلة توضح أنّ المعنى الواحد يُعبر عنه بعدة أساليب ، وهو ما وقف عليه العرب القدامى حين عَرّفُوا (البيان) بانه ((علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه))[٢٦] .

---

[٢٦] الايضاح ص٢١٢ .

المصـــادر :

١ــ استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – الدكتور عبد الهادي بن ظافر الشهري بنغازي – ليبيا ٢٠٠٤م .

٢ــ الايضاح – الخطيب القزويني – القاهرة .

٣ــ البحث الأدبي ومنهجه – نوري شاكر الآلوسي – بغداد ١٩٨٤م .

٤ــ بحوث مصطلحية – الدكتور احمد مطلوب – بغداد ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

٥ــ البرهان في وجوه البيان – ابن وهب الكاتب – تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي – بيروت ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .

٦ــ التداوليات علم استعمال اللغة – اعداد الدكتور حافظ اسماعيلي علوي – اربد – الاردن ٢٠١١هـ .

٧ــ جدلية الخفاء والتجلي – الدكتور كمال أبو ديب – بيروت ١٩٧٩م .

٨ــ جمرة النص الشعري – الدكتور عز الدين المناصرة – عمان ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .

٩ــ صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني الطبعة السادسة – المانية ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

١٠ــ العمدة – ابن رشيق القيرواني – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – الطبعة الثانية – القاهرة ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م .

١١ــ قاموس اللسانيات – الدكتور عبد السلام المسدي – بيروت ١٩٨٤م .

١٢ــ الكليات – أبو البقاء الكفوي – تحقيق الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري – الطبعة الثانية – بيروت ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .
١٣ــ لسان العرب – ابن منظور .
١٤ــ مجلة الأقلام – بغداد – العدد الأول – السنة (٤٧) – كانون الثاني – شباط ٢٠١٢م .
١٥ــ المصطلحات الأدبية الحديثة – الدكتور محمد عناني – بيروت ١٩٩٦م .
١٦ــ المعجم العربي الأساسي – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
١٧ــ معجم مصطلحات الأدب – مجدي وهبة – بيروت ١٩٧٤م .
١٨ــ معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة – الدكتور سعيد علوش ــ بيروت ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
١٩ــ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها – الدكتور احمد مطلوب – الطبعة الثانية – بيروت ١٩٩٦م .
٢٠ــ معجم مصطلحات النقد العربي القديم – الدكتور احمد مطلوب – بيروت ٢٠٠١م .
٢١ــ معجم مقاييس اللغة – احمد بن فارس .
٢٢ــ المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
٢٣ــ مفاهيم نقدية – رينيه ويلك – ترجمة الدكتور محمد عصفور (عالم المعرفة ١١٠) – الكويت ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
٢٤ــ المنهل (فرنسي عربي) الدكتور جبور عبد النور والدكتور سهيل ادريس .

٢٥ــ المورد – (انكليزي – عربي) – منير البعلبكي .
٢٦ــ المورد (عربي انكليزي) الدكتور روحي البعلبكي .
٢٧ــ نقد الشعَر – قدامة بن جعفر – تحقيق كمال مصطفى – القاهرة ١٩٦٣م .
٢٨ــ النهاية في غريب الحديث والأثر – أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير – تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي – القاهرة ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م .